التابوت في لغة العرب
« دراسة تأصيلية دلالية »

الدكتور محمد صالح توفيق
كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فموضوع هذا البحث، (التابوت) في لغة العرب: «دراسة تأصيلية دلالية». وترجع صلتي به إلى عامين، كنت حينذاك أبحث عن مخطوطة أقوم بتحقيقها في مجال تخصصي، فعثرت على مخطوطة للسيد محمد مرتضي الزبيدي عنوانها «القول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت» فعقدت النية على تحقيقها، وقد أنجزته منذ مدة، بيد أنه يجدر بي أن أصارح القارىء بما أحسست به، وهو شغفي بأن أكتب دراسة مستفيضة عن أصل كلمة التابوت ومعناها، مستفيداً مما درسته في شقيقات العربية كالعبرية والآرامية والحبشية. وبما أتيح لي من قراءة في كتب المفسرين، وفي المعاجم العربية، لذلك فقد استخرت الله، وبدأت كتابة هذا البحث المتواضع لعلي أسهم مع من سبقني من الأساتذة الأفاضل في تجلية ما غمض على دارس العربية من بيان أصول بعض الكلمات ومعانيها.

وقد جاء البحث في أربعة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول : التابوت في المعاجم العربية وكتب المفسرين.

(أ) أصله ت و ب.

(ب) أصله ت ب هـ .

(جـ) أصله ت ب ت .

(د) أصله ت ب و .

المبحث الثاني: التابوت في أخوات العربية (العبرية ـ الآرامية ـ الحبشية)

المبحث الثالث : التابوت دراسة مقارنة.

المبحث الرابع : دلالة التابوت.

نسأل الله عز وجل أن يجنبنا الزلل في القول والعمل، وأن يجعل عملنا كله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

المبحث الأول : التابوت في المعاجم العربية وكتب المفسرين

(أ) التابوت في مادة (ت و ب):

جاء في الصحاح للجوهري: «والتابوت» أصله تأْبُوة مثل تَرْقُوَة، وهو فعلوة، فلما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء[1] يقول الزبيدي في مخطوطته: «وأما وزنه فقيل أصله فَعْلُوت من التوب بمعنى الرجوع، وهو قول أبي على الفارسي وابن جني وتبعهما الزمخشري، واعتمده الجوهري حيث أورده في ت و ب نظراً لما ذكرناه، وإياه تبع ساير من صنف في اللغة[2].

وقال الزمخشري في الكشاف مؤيداً لكلام الجوهري: فإن قلت: ما وزن التابوت؟ قلت لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولا، فلا يكون فاعولاً لقلته نحو: سلس، وقلق، ولأنه تركيب غير معروف، فلا يجوز ترك المعروف إليه، فهو إذا «فعلوت» من التوب وهو الرجوع»[3]، ولكنه يختلف مع الجوهري في تطور أصل التابوت، فهو يرى أن أصله تَوَبُوت (فَعَلُوت) تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا[4] بينما ذهب الجوهري في تصريفه إلى أن التاء فيه للتأنيث وأصله عنده (تَأْبُوة) واختار ابن الطيب الفاسي والزبيدي تصريف الزمخشري لأنه «أقرب للقواعد وأجرى على الأصول»[5].

وتبع الزمخشرى في تفسيره الشيخ محمود الألوسي إذ يقول: «والتابوت الصندوق، وهو فعلوت من التوب، وهو الرجوع لما أنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاجه من مودعاته، فتاؤه مزيدة كتاء ملكوت ، وأصله توبوت، فقلبت الواو ألفا، وليس بفاعول من التبت لقلة ما كان فاؤه ولامه من جنس واحد كسلس وقلق»[6].

وحكى كلام الجوهري الفيروزأبادي في «القاموس المحيط» فقال: والتابوت أصله تأبوة كترقوة، سكنت الواو فانقلبت هاء التأنيث تاء[7] ونقل ذلك البيضاوي في تفسيره الموسوم بـ«أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ١/ ٢٥٣.

ولم يرض ابن بري عما قالـه الجوهري، وعلق عليه بقوله: «إن الجوهري أساء تصريفه حتى رده إلى تابوت»[٨] كما لم يرض عن تصريفه الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر (محقق ديوان الأدب للفارابي) إذ قال: «ذكرها الجوهري في «توب» مع اعترافه بأنها في الأصل «تابوة» على وزن فَعْلوة، وكان مقتضي هذا أن ترد في «تبو»[٩].

(ب) التابوت في مادة (ت ب هـ) :

جاء في المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده، مادة (تبه) أن «التابوه لغة في التـابوت أنصارية»[١٠] ونقل عنه ذلك صناع المعاجم العربية الذين جاؤوا بعده أخص منهم بالذكر ابن منظور في (اللسان) قال: التابوه: لغة في التابوت: أنصارية وقـال ابن جني: «وقـد قرىء بها، قال: وأراهم غلطوا بالتاء الأصلية، فإنه سمع بعضهم يقول: قعدنا على الفراه، يريدون على الفرات[١١] ونقل الزبيدي في التاج نص ابن منظور، وجعله مما يستدرك على صاحب القاموس[١٢]. وجاء في مخطوطته «وأورده ابن سيده في المحكم في ت ب هـ نظراً إلى لغة الأنصار، وهذا فيه تأمل، فإن الهاء ليست بأصلية إلا أن يقال نظر إلى ظاهر اللفظ»[١٣] والزبيدي هنا يرى أنه على جعـل الهاء أصلية يكون وزن «تابوه» فاعول وهذا لا يتفق مع ما صرح به في مخطوطته حين قال «وعندي أن الحق مع الجوهري في إيراده في ت و ب، وأن تصريفه على ماذهب إليه الزمخشري[١٤]. وخالفه في مفهومه هذا أبو حيان الأندلسي إذ يذكر الوزن الأول للتابوت «فاعول» ويقول: ولغة فيه التابوه بالهاء آخراً ويجوز أن تكون الهاء بدلاً من التاء، كما أبدلوها منها في الوقف في مثل طلحة فقالوا طلحه، ولا يجوز أن يكون فعلوتا كملكوت من تاب يتوب لفقدان معنى الاشتقاق فيه»[١٥] «والتبوه على وزن الصبور، ولم ترد هذه في شواذ القراءات، وهي لهجة أنصارية أيضاً»[١٦].

كما نجد الزمخشري جعل وزن «تابوه» «فاعول» فقال: «وأما من قرأ بالهاء فهو «فاعول» عنده، إلا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء (على أساس أن وزن تابوت فعلوة) لاجتماعهما في الهمس، وأنهما من حروف الزيادة، ولذلك أبدلت من تاء التأنيث»[١٧] وهذا ما ضعفه الألوسي في تفسيره حين قال «وأما جعل الهاء بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس، وأنهما من حروف الزيادة فضعيف، لأن الإبدال في غير تاء التأنيث ليس بثبت»[١٨].

ويبدو أن النطق بالهاء (التابوه) كان منتشراً في المدينة لدى سكانها العرب واليهود قبل الإسلام، واستمر هذا النطق بعد نزول القرآن الكريم، وانعكس هذا على «زيد بن ثابت» كاتب الوحي، كما جاء في صحيح البخاري: «رُوى عن الزّهري عن أنس أنه قال: إن عثمان أمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن يكتبوا المصاحف، وزاد الترمذي قال ابن شهاب: فاختلفوا يومئذ في «التابوت» و«التابوه» فقال القرشيون «التابوت» وقال زيد «التابوه» فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش[١٩].

ولم يكن هذا الاختلاف بين النطق القرشي ونطق أهل المدينة يسيراً. لقد قال عنه أبو عمرو الداني: «فقال زيد: «التابوه» وقال النفر القرشيون «التابوت» «وقال: فأبيت أن أرجع إليهم، وأبوا أن يرجعوا إلي، حتى رفعنا ذلك إلى عثمان»[٢٠].

وأغلب الروايات التي بين أيدينا تنص على أن «التابوه» لم يكن نطق فرد، وإنما هو نطق جماعة الأنصار، قال القاسم بن مَعن: «لم تختلف لغة قريش في شيء من القرآن إلا في التابوت، فلغة قريش بالتاء، ولغة الأنصار بالهاء»[٢١] وقال أبو بكر بن مجاهد: «التابوت بالتاء قراءة الناس جميعا، ولغة الأنصار بالهاء»[٢٢] وملخص القول: إن التابوت رسم بالتاء في المصاحف العثمانية، وعليها قراءة الجمهور، وهي لهجة قريش، وفيه ثلاث لهجات أخرى هي:

١ ـ التابوه، وقرأ بها زيد بن ثابت وأبي بن كعب.

٢ ـ التيبوه، وقرأ بها من قراء الصحابة زيد بن ثابت، وقد نسبت هاتان اللهجتان للأنصار.

٣ ـ التبوه ـ على وزن الصبور ـ ولم ترد هذه في شواذ القراءات. وهي لهجة أنصارية أيضاً[٢٣].

ذكر أصحاب السير أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة، وكان فيها يهودي يعلم الصبيان القراءة والكتابة، وكان فيها بضعة عشر رجلاً يعرفون الكتابة منهم زيد بن ثابت الذي تعلم كتابة اليهودية بعد الهجرة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم[٢٤]. أضف إلى ذلك أن «الجالية اليهودية بالمدينة وما حولها كانوا كغيرهم من اليهود في كل

البيئات التي يرحلون إليها يتعلمون لغة قومها، ومنهم من يتقنها ويتكلم بها دون لكنة تنم عن أصله، أو تفشى ما استتر من أمره، ثم هم مع هذا قد يترجمون بعض نصوص التوراة إلى هذه اللغة الجديدة لهذا نتصور أن يهود المدينة كانت لغتهم العربية[٢٥]، ويبدو لنا وجود اتفاق في النطق بين يهود المدينة، لما يجدونه في العهد القديم من نطق «تابوه»، والأنصار في المدينة ، وهم من قبائل يمنية في الأصل، هم من الأزد، والأزد من اليمن، وكان هذا هو النطق الشائع لدى لهجة قبائل اليمن قبل الإسلام، يقول الدكتور أحمد حسين شرف الدين: «التاء تبدل هاء في بعض جهات صعدة، وخاصة لدى قبيلتي علاف والأبقور، فيقولون: البناه، أي البنات، وهذا معلوم في كتب اللغة، وهي لهجة طيء فكانوا يقولون: التابوه والبناه ومن أمثالهم: «دفن البناه من المكرماه»[٢٦].

وتبع ابن سيده الأندلسي في إيراد لفظ التابوت في «ت ب هـ» المعلم بطرس البستاني في معجمه «محيط المحيط» الذي قال: «وعندي أن التابوت من تبه، وهو أصل مفقود»[٢٧].

(جـ) التابوت في مادة «ت ب ت»:

قال ابن بري : «الصواب أن يذكر (التابوت) في فصل «تبت» لأن تاءه أصلية ووزنه فاعول مثل عاقول وحاطوم، والوقف عليها بالتاء في أكثر اللغات، ومن وقف عليها بالهاء فإنه أبدلها من التاء، كما أبدلها في الفرات حين وقف عليها بالهاء، وليست التاء في الفرات بتاء تأنيث وإنما هي أصلية من نفس الكلمة[٢٨].

وممن قال بهذا الرأي ابن الأثير في نهايته، فقد أورد «التابوت» في «تبت» في ذكره حديث دعاء قيام الليل: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وذكر سبعاً في التابوت»[٢٩].

ولكن ابن منظور يحاول تبرير ذكره في «تبت» في اللسان فقال: «هذه ترجمة لم يترجم عليها أحد من مصنفي الأصول، وذكره ابن الأثير لمراعاة ترتيبه في كتابه وترجمنا نحن عليها، لأن الشيخ أبا محمد بن بري ـ رحمه الله ـ قال في ترجمة توب راداً على الجوهري لما ذكر «تابوت» في أثنائها قال: إن الجوهري أساء تصريفه حتى رَدَّه إلى تابوت قال: وكان الصواب أن يذكره في فصل تبت، لأن تاءه أصلية، ووزنه فاعول»[٣٠].

ومن الملاحظ أن ابن جني في كتابه المحتسب جعل التاء أصلية في التابوت ورأى أنها حين تنطق هاء تكون أصلية وليست تاء تأنيث، يقول عن «التابوه»: «قرىء بها، وأراهم غلطوا بالتاء الأصلية، فإنه سمع بعضهم يقول: قعدنا على الفراه، يريدون الفرات»[٣١] وعقب على هذا القول الزبيدي في مخطوطته فقال مفسراً له: أي لما رأوا أن تاء التأنيث إذا وقف عليها تكون هاء، غلطوا فيه، لما رأوهم يقفون فيه على الهاء، فظنوا أنها تاء التأنيث، وليست كذلك بل هي من نفس الكلمة[٣٢]. ولم يوافق الزبيدي ما قاله ابن بري وابن الأثير وابن جني فقال معقباً: «وأنت خبير إذا جعلت التاء أصلية كما في الفرات، لم يبق للفظة معنى يرجع إليه اشتقاقاً، فإن جوهر «تبت» لا معنى له، وهو لفظ عربي اتفاقاً فتأمل[٣٣].

أما صاحب القاموس المحيط فقد ذكر التابوت في ثلاثة مواضع من كتابه هي: في «ت و ب» كما هو صنيع الجوهري، وفي «ت ب ت» نظراً إلى قول ابن بري، وفي «ت ب هـ» تبعاً لابن سيده، ليكون كتابه جامعاً لأقوال أئمة اللغة، ومع أن اللغوي اللبناني المعلم بطرس البستاني اعتمد على القاموس في معجمه «محيط المحيط» فإنه ذكر التابوت في ترتيبها «ت ا ب» بينما ذكر المعجم الوسيط كلمة «التابوب» في مادة «ت ب ت» ونص على أنها معربة.

د ـ التابوت في مادة «ت ب و»:

انفرد الدكتور أحمد مختار عمر بهذا الرأي الذي تفهمه من قوله: «مقتضى كلمة «التابوت» أن ترد في «تبو» وأصلها: تابوه على فاعله «بضم العين» لكن لما سكنت الواو قبلها صارت الهاء تاء، لأن هاء التأنيث بناؤها على أن يكون ما قبلها مفتوحاً. فلما سكن ما قبلها خرجت الهاء من بنائها كالأخت والبنت[٣٤].

وهذا الرأي يتفق مع ما قاله الجوهري من قبل من أن التاء للتأنيث، وأصلها الهاء، فلما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء. وأكد ذلك برجشتراسر بقوله: «وإن التاء إن لم تسبقها فتحة هي تاء التأنيث، فهي في غير اللغة العربية وخصوصاً في الأكادية والعبرية كثيراً مالا فتحة قبلها»[٣٥].

ويبدو أن الخلاف بين البصريين والكوفيين حول علامة التأنيث يلقي ظلاله على موضوعنا، فقد رأى البصريون أن التاء هي العلامة الأصلية للتأنيث، وأنها تقلب هاء في حالة الوقف، بينما رأى الكوفيون أن الهاء هي الأصل[٣٦]، فعلى رأى الكوفيين تكون «تابوه» هي الأصل، و«تابوت» هي الفرع، وهذا ما ارتضاه الجوهري وكثير من الصرفيين وعلماء الاشتقاق، كما رجحت قبيلة طيء استخدام الهاء بدلا من التاء مع جمع المؤنث نحو: كيف البنون والبناه؟ يريدون البنات، وكيف الإخوة والأخواه، دفن البناه من المكرماه[٣٧]. أضف إلى ذلك أن قراءة زيد بن ثابت «التابوه» لغة أنصارية.

وتتمة للبحث في كتب القدماء عن تصريف ووزن كلمة التابوت تصفحت معجم مقاييس اللغة لابن فارس، فوجدته تحاشى ذكر «التابوت»، ربما لأن الكلمة تشابهت عليه، وهو كان يبعد نفسه عن تقصي جذور كلمات يظن أنها غير عربية، كما لم يلتمس دقة معاني الكلمات في مصدر غير عربي. ولا يغيب عن بالنا أن ابن فارس لم تمنعه العروق الفارسية التي ينتمي إليها من أن يتعصب للغة العربية في معجمه، وجاءته هذه العصبية من جهة إسلامه، واقتناعه بأن القرآن كتاب الله المعجز الخالد، فكان دفاعه عن القرآن الكريم ولغته فيما كتب.

وقد ظهر لنا في معجمه البارع ما يتنافى مع عصبيته للغة العربية والقرآن الكريم فهو لم يذكر كلمة «التابوت» الواردة في القرآن الكريم، ولم يدافع عن عربيتها في معجمه مع أنه أورد مادة «ت و ب» في معجمه، وفي الوقت نفسه يعرض أحيانا لكلمات ليست من كلام العرب على حد قوله «التاء واللام والميم ليس بأصل ولا فيه كلام صحيح ولا فصيح. قال ابن دريد في الكلام إنه «تلم» التلاميذ... وما في ذلك شيء يعول عليه، وذلك أن التلميذ ليس من كلام العرب[٣٨]. كما أن معاصره ابن خالويه لم يذكر وزن التابوت ولم يتعرض لاشتقاقه في كتابه «ليس في كلام العرب» مما يؤكد وجهة نظر القدماء للكلمة على أنها عربية باتفاق كما قال الزبيدي في مخطوطته[٣٩]. ولكن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قال: «التابوت» اسم عجمي معرب، فوزنه فاعول، وهذا الوزن قليل في الأسماء العربية، فيدل على أن ما كان على وزنه. إنما هو معرب مثل ناقوس وناموس[٤٠] فإن اعترض عليه بأن وزنه عند

الجوهري ومن تبعه من الصرفيين هو «فعلوت» نجده يرد عليهم في توضيحه لكلمة «طـالـوت» إذ قال: ووزن فعلوت وزن نادر في العـربية، ولعله من بقـايا العربية القديمة. . . ويجوز أن يكون منعه من الصرف لمصيره بالإبدال إلى شبه وزن فاعول. ووزن فاعول في الأعلام عجمي مثل هاروت وماروت وشاوول وداود[٤١].

المبحث الثاني : التابوت في أخوات العربية :

العبرية ـ الآرامية ـ الجبشية :

من أبرز النظريات السائدة في مجال علم اللغة، والتي تحفل بعدد وافر من الأتباع والمـروجـين في عالمنا الإسلامي استخدام مصطلح «اللغات السامية» وهي تسمية يجانبها التوفيق، والتسمية الأكثر وضوحاً لهذه اللغات هي «اللغات الأعرابية» لأن أصل هذه اللغات من شبه جزيرة العرب، والمتبع لدى علماء اللغة في تسمية الأسر اللغوية بالاسم الذي يدل على مواطنها الأولى، وهو الاسم الذي تحمله عادة أقدم لغاتها وأهمها، والأعراب أو أهل البادية هم أهل اللغة الفصحى الصحيحة[٤٢].

ولو تأمل ناظر في هذه اللغات الأعرابية (السامية) لوجد ثبات أصول الألفاظ في لغـة العـرب، ومحافظتها على روابطها الاشتقاقية، وهذا يقابل استمرار الشخصية العربية خلال العصور، لذلك ورود أية كلمة في اللغة العربية يجعلها من التراث العام للغات الأعرابية (السامية)، ولا تعد لدينا من المعرب أو الدخيل الأجنبي. من أجل ذلـك نقـرأ ما كتبـه المستشرقـون وعلماء اللغـات في هذا الشـأن، والقراءة هدفها التمحيص والتدقيق فيما يفيد لغتنا العربية عامة، وما نحن بصدده من تأصيل كلمة «التابوت» خاصة.

يرى برجشتراسر أن الكلمة دخلت العربية من الآرامية بواسطة الحبشية والأصل الآرامي ܬܝܒܘܬܐ Tevuta . وهي في الحبشة ፕኦት = Tabot «تابوت»[٤٣]. وقدم لذلك تبريرات منها: «من اللغات التي أثرت في العربية في الزمان القديم الفارسية والحبشية والآرامية. والسبب في تأثير هذه اللغات بالأخص في اللغة العربية هو أنها كانت لغات الأقوام المتمدنة المجاورة للعرب

في القرون السابقة للهجرة، فاللغة الآرامية على اختلاف لهجاتها كانت سائدة في كل بلاد فلسطين وسوريا وبين النهرين، وفي بعض بلاد العراق»[٤٤].

وأضاف: «كانت الآرامية من أهم لغات النصرانية التي كان يميل إليها كثير من العرب، وكانت الحبشية من لغات النصارى أيضاً»[٤٥].

وقد نقل محقق كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي رأى برجشتراسر، وهو يفسر كلمة «التابوت». فقال: أصله من الآرامية «تيبوتا» 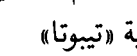 كما ورد في مشنا وترجم، وقيل إنه أقرب إلى الكلمة الحبشية «تابوت» المأخوذة من الآرامية «تيبوتا» أو العبرية «تابوه» وعن الحبشية أخذته العرب[٤٦].

ولم يختلف رأي الدكتور عبد المجيد عابدين عما قاله برجشتراسر، فقد أشار إلى أن لفظة «التابوت» أخذته العربية من الحبشية، وهي ليست حبشية الأصل، وإنما سبقت الحبشية إلى أخذها من لغات أخرى، ثم استعارتها العربية منها، ويرجح أن هذا اللفظ عبراني[٤٧] وكان دليله اللغوي: «انفراد الكلمة في العربية بحيث لا يكون لها قرابة إلا ما اشتق منها، فهو لفظ منفرد في العربية لا قرابة له فيها إلا ما اشتق منها»[٤٨] وتغلب عليه فكرة أثر اليهود الديني على الحبشة أولاً ثم العربية، نجد ذلك واضحاً في قوله: «ومن الشواهد الدالة على أثر اليهود الديني في القبائل الحبشية وخاصة في المسيحية ذاتها ما نجده من قبائل الجلا يعبدون إلهة يسمونها سمبت، وهو في الواقع تشخيص ليوم السبت الذي يعظمه اليهود... وغير ذلك من الأفكار التي أخذها المسيحيون أولا من اليهود[٤٩] ويقول: «ولعلك تعجب حين تجد اختلاط آثار الحبشة واليمن بالأخبار اليهودية والنصرانية، وغيرها مما جاء عن طريق الحبشة أو اليمن[٥٠]. ولسنا بحاجة إلى التنبيه إلى أن هذه الفكرة مستقاة مما كتبه برجشتراسر ونولدكه، فقد نص الدكتور عابدين على ذلك عند حديثه عن الألفاظ التي استعارتها العربية من الحبشية فقال: «وقد اعتمدنا في أكثر ما ذكرنا في هذا الفصل على ما كتبه العالمان في هذين الكتابين»[٥١].

يرى يهودا جور תהודה גור في معجمه العبري
מלון עברי أن التابوت مكون من حرفين هما (ت ب = תב وأكملت الكلمة بحرف المد الفاصل بينهما ، فصارت الكلمة תיבות «تيفوت»[٥٢] وقريب من ذلك ما ذكره إفراهام إفن شوشان :
في معجمه : إن كلمة «التابوت» موضوع البحث تكونت من دمج للحروف. فهي في حالة الإضافة תיבת = «تيفت» وفي حالة الإطلاق = «تيفوت»[٥٣].

المبحث الثالث : التابوت دراسة مقارنة :

لو أنعمنا النظر في معاجم اللغات الأعرابية (السامية) وأحصينا مفرداتها لوجدنا العربية من أغناها على الإطلاق بل تفوق كل مفردات شقيقاتها مجتمعة.

والمتأمل في تاريخ اللغة العربية يرى أن لهجة قريش تخيرت من كلام الوفود من العرب وغيرهم أحسن ما عندهم من ألفاظ، فاجتمع ماتخيروا من تلك اللغات إلى سلائفهم التي طبعوا عليها، وحين جاء القرآن الكريم كانت العربية ـ الممثلة في لهجة قريش وما اصطفته من اللغات الأخرى ـ قد استوعبت كل هذه الكلمات، وصارت جزءاً منها.

ومن أجل هذا نقول: إن أغلب الكلمات التي ظن العلماء أنها مأخوذة من الآرامية أو الحبشية، هي كلمات عربية أهمل استعمالها في زمن ما، أو لم يصل إلينا استعمالها قديما، وحين عرفها العرب في الجاهلية قبل نزول القرآن الكريم، كان استخدامهم لكلمة عربية الأصل، ولا نستطيع أن نجزم الآن بأنها لم تكن موجودة من قبل.

كما ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل ولو جاءنا جميع ماقالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير، وأحر بهذا القول أن يكون صحيحاً، لأنا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب[٥٤] قال السيوطي : «ما انتهى إليكم مما قاله العرب إلا أقله، ولو جاءكم لجاءكم علم وافر وشعر كثير»[٥٥].

من كل هذا يتبين لنا أن ما سماه بعض العلماء معرباً لوجوده في إحدى اللغات السامية إنما هو من مشترك اللغات، ويشهد لذلك ما وجدناه من نصوص لدى علمائنا الأجلاء.

١ ـ أثيرت قضية عربية القرآن، وما في الكتاب من ألفاظ أعجمية، وكما يقول السيوطي: «قال الجمهور: ليس في كتاب الله ـ سبحانه ـ شيء بغير لغة العرب؛ لقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾.
وقوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾.

وادعى ناس أن في القرآن ما ليس بلغة العرب، حتى ذكروا لغة الروم والقبط والنبط[٥٦] وهناك طائفة توسطت فقالت بأن لهذه الألفاظ أصولا أعجمية إلا أنها عربية من حيث اللفظ[٥٧]. وقال الأستاذ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ حديثا: «لعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب، ولا يعرف مصدر اشتقاقها، لعلها من بعض ما فقد أصله، وبقي الحرف وحده[٥٨] ويبدو لنا أن كلام الأستاذ شاكر قديم عند ابن فارس، فهو يقول: «وذلك كله من لغات العرب، وإن وافقه في لفظه ومعناه شيء من غير لغاتهم»[٥٩] وهذا ما نرتضيه هنا في بيان كلمة «التابوت» في لغة العرب، فهي كلمة عربية باتفاق علمائنا القدامى. «وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم، وجهله من جهل»[٦٠].

٢ ـ يقول أستاذ اللغات السامية الدكتور حسن ظاظا: «يكاد يكون مستحيلا أن نجزم عند بحثنا في كثير من الألفاظ المشتركة بين العربية وغيرها من لغات العائلة السامية بأن هذه اللفظة أو تلك «مأخوذة» من العبرية، أو الآرامية، أو البابلية أو الحبشية، أو غيرها، إذ قد يكون العكس هو الصحيح، نظرا لقدم لغة العرب، ولعدم عثورنا على أي نص مكتوب أو مروي عن اللغة السامية الأم التي تفرعت عنها كل تلك اللغات واللهجات»[٦١]. وهذا هو المنهج الذي ارتضاه «جزينيوس» في معجمه المعروف به «اللغة العبرية الآرامية في الكتاب المقدس»، فهو يذكر غالبا الألفاظ المتشابهة في اللغات السامية جنبا إلى جنب دون أن يقطع بأن إحداها قد أخذت عن الأخرى، إلا قليلا، وفي هذه الحالة يميل بوجه عام إلى القول بأن العبرية والسريانية والآرامية هي التي أخذت عن العربية[٦٢].

٣ ـ يقول «جزينيوس»: «علماء العربية القدامى عدوا كل لفظ معروف في السريانية دخيلا في العربية، لأنهم لم يعرفوا على وجه الدقة أنه ربما تكون اللفظتان

من أصل سامي واحد، كما في ألفاظ (الرحمن الرحيم). وقد نسبوها إلى العبرية أو الحبشية أو النبطية، وهي في الحقيقة من المشترك في اللغات السامية»[٦٣].

٤ ـ تحدث الدكتور إبراهيم السامراني عن بعض الألفاظ القرآنية التي قيل إنها دخيلة على العربية فقال: ؛ «وقد جاء في القرآن ألفاظ لها أصول سامية وجدت في أغلب اللغات السامية ولكن الأقدمين وقفوا منها وقفة الجاهل بالأصول، فقالوا أقوالاً لم تبن على علم ثابت»[٦٤] ولا أريد أن أقول: إن الدكتور السامرائي قد جانبه الصواب في قوله عن الأقدمين (وقفة الجاهل بالأصول) فذلك مرتقى صعب لا أدعية لنفسي، وإنما أكتفي بالقول: إن أقوال الأقدمين كانت تحتاج إلى إلمام بما هو موجود من ألفاظ متشابهة في أخوات العربية . ولو حدث ما قلناه لما كان لدينا تعدد الاحتمالات في الوقوف على موضع لفظ «التابوت» في المعاجم العربية فإن تصفحنا القاموس المحيط للفيروز آبادي وجدناه قد ذكر اللفظ في ثلاثة أماكن «ت و ب » «ت ب هـ» «ت ب ت» وتبعه الزبيدي في التاج.

٥ ـ يرى الأستاذ الدكتور محمد بحر عبد المجيد أن الكلمات الموجودة في الآرامية ما هي إلا كلمات عربية خرجت من الجزيرة، وأدخل عليها بعض التغيرات فـ «الآراميون نزحوا من الجزيرة وحملوا معهم اللغة العربية التي أصبحت فيما بعد لهجة عربية، ثم تكاملت لدى هذه اللهجة مقومات اللغة وأصبحت لغة مستقلة سميت اللغة الآرامية[٦٥].

وإنا نلخص القول في أصل كلمة «تابوت» على النحو التالي:

أقدم الأسماء صيغة هي الأسماء الثنائية، والعربية حافظت على بنائها الأصلي في كثير منها، غير أنها اشتقت من بعضها صيغا جديدة بزيادة أحد حرفي العلة أو بزيادة همز أو هاء[٦٦] ونرجح أن يكون أصل كلمة «تابوت» حرفين فقط هما التاء والباء، وزادت العربية والحبشية ألف المد فقيل «تابوت»، بينما زادت الآرامية والعبرية باء المد فقيل תֵּיבוּתָה = «تيفوتا» الآرامية، תֵּבָה «تيفا» العبرية[٦٧]، ويطابق ذلك ما رواه القرطبي : «وروي بالياء» «التيبوت»[٦٨]. وجاء في التاج بدون زيادة حرف العلة «والتبوت كصبور لغة في التابوت»[٦٩].

أما المقطع الأخير في الكلمة «و ت » فتفسيره أن الواو حركته طويلة لا يوقف عليها، بل جيء بها لعدم توالي ساكنين في آخر الكلمة، يقول موسكاتي: «يجرى التخلص كثيراً من توالي السواكن في نهاية الكلمة بإقحام صوت مد ثانوي، وتكوين مقطع جديدة بذلك[٧٠]. وختمت الكلمة بتاء التأنيث، وكما يقول الجوهري: «لما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء»[٧١]، ورسمت هذه التاء مربوطة كما في «تابوه» والأصل «تابوة» ، وهذا يعضده نطق سكان المدينة المنورة بالهاء «التابوه» والكلمة العبرية = تيفا والتي تتحول معها الهاء إلى تاء عند الإضافة في مثل תֵּבַת נֹחַ תֵּבָה (سفر الخروج ٢/٥).

وعلى هذا فإننا نستطيع أن نجمل الأدلة التي تشير إلى أن أصل هذه الكلمة ثنائي، وأن التاء فيها للتأنيث بما يأتي:

(أ) اطراد التأنيث بالتاء التي سكن ما قبلها مع الكلمات الثنائية في كثير من اللغات الأعرابية «السامية» من ذلك في العربية كلمتا، أخت، بنت، وذلك يؤكد أن التاء في كلمة «التابوت» وما شاكلها كالطاغوت وغيرها للتأنيث. يقول برجشتراسر «إن التاء إن لم تسبقها فتحة هي تاء التأنيث، فهى في غير اللغة العربية، وخصوصاً في الأكادية والعبرية كثيراً مالا فتحة قبلها[٧٢].

(ب) إن إقرار من جعل التاء أصلية بأن الوزن «فاعول» لَيضعف من شأن هذا الإقرار، لأن العرب تستثقل ما فاؤه ولامه حرف واحد، لأنه توأم التكرار وكما يقول الزمخشري: «لا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق، ولأنه تركيب غير معروف، فلا يجوز ترك المعروف إليه[٧٣].

(جـ) الصيغ المنتهية بهذا المقطع «و ت = ot » وهذا ينطبق على العربية»[٧٤].

وهذه الصيغ شائعة بكثرة في اللغة العبرية، وهذا المقطع علامة تأنيث فيها كما في אֲחוֹת «آحوت»= أخت، ممرضة، فكذلك «تيفوت» تابوت، التاء فيها للتأنيث كما في «راشِ تيفوت»= مراكز التابوت.

ولعل مما يستأنس به في صحة ماقلناه أن الأوزان التي افترضها علماؤنا القدامى لكلمة «التابوت» هي أوزان غير شائعة في الأصول العربية. فوزن «فعلوت» الذي

ارتضاه الجوهري وأغلب الصرفيين، قال عنه أحد المحدثين إنه «وزن خاص بالألفاظ الأعجمية»[٧٥] أما وزن «فاعول» فهو وزن غير مرضي عنه من علمائنا القدامى في تحليلهم لكلمة «التابوت»، يقول عنه الدكتور مسعود بوبو «وزن فاعول نادر في العربية ولعل ما بني منه متأخر قليلاً، إنما هو شائع بكثير في الآرامية نحو؛ «ساجور راقود، باسور، طاعون، تامور، ناجود، حانوت، ناعور، فاثور، ناطور، جالوت، ساهور، صاقور، تابوت..»[٧٦] من هنا نؤيد علماءنا القدامى فيما ذهبوا إليه من أوزان غير شائعة في الأصول العربية عند تعريفهم لكلمة «التابوت». ونرجع أن توضع الكلمة في معاجم اللغة حسب ترتيبها الصوتي «ت ا ب» وهذا هو الأصل عندنا.

وهنا تبرق لنا فكرة الحديث ما يراه بعض الباحثين من شيوع كلمة «التابوت» في اللغة العبرية، وندرة استخدامها في اللغة العربية. الحقيقة أن كلمة «التابوت» وردت مرتين في القرآن الكريم على لسان بنى إسرائيل: المرة الأولى في الآية الثامنة والأربعين بعد المائتين من سورة البقرة، ومدلول التابوت في هذه الآية الكريمة «تابوت الشهادة» في قوله تعالى:

﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾.

والمرة الثانية التي جاء فيها ذكر التابوت في كتاب الله العزيز. كانت في الآية الكريمة التاسعة والثلاثين من سورة طه، إذ قال الله عز وجل مخاطباً نبيه موسى عليه السلام: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل﴾..

والمقصود بالتابوت في هذه الآية الكريمة الصندوق الذي وضعت فيه أم موسى وليدها موسى» ثم قذفته في نهر النيل، خوفاً من أن يقتله فرعون ملك مصر.

كما وردت كلمة «التابوت» مرة واحدة في حديث دعاء قيام الليل: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وذكر سبعا في التابوت»، أراد بالتابوت هنا الأضلاع وما تحويه كالقلب والكبد وغيرهما تشبيها بالصندوق الذي يحرز فيه المتاع[٧٧]. وقد أمضيت فترة من الزمن

قارئا باحثا عن كلمة «التابوت» في لغة العصر الجاهلي ولكني لم أوفق في العثور عليها مذكورة، ولا أستطيع الحكم بعدم وجودها إلا إذا استوعبت كلام العرب في العصر الجاهلي بأكمله، وهذا أمر متعذر. فما ورد إلينا من الشعر الجاهلي وغيره قليل من كثير، وغيض من فيض. ولكني وجدتها مذكورة في أرجوزة الشاعر:

ويزبق الأقفال والتابوتا[٧٨]

وفي الأساس للزمخشري: «وأنشد أبو حاتم:

تجاوب الصوت بترنموتها وتخرج الحية من تابوتها[٧٩]

فإذا ما تصفحنا فقرات العهد القديم لا نجد لفظ «تيفا» أو «تيفوت» (تابوت) يرد كثيرا معنا، فقد وردت كلمة תֵּבָה «تيفا» تسع مرات في سفر التكوين ٦/ ١٤ - ١٥/٦ - ١٩/٦ - ١/٧ - ٧/٧ - ١٥/٧ - ١٨/٧ - ٦/٨ - ١٦/٨» ووردت مرة واحدة في سفر الخروج «٥/٢»، بينما جاءت هذه الكلمة مضافة في سفر الخروج «٣/٢»..... תֵּבַת־גֹּמֶא

תֵּבַת אָרוֹן = أخذت له تابوتا من البردي، والمعنى الأصلي لكلمة التابوت في كل ما سبق هو الفلك أو سفينة نوح أو السفط، بينما الكلمة الدالة على «تابوت الشهادة» أو «تابوت عهد الرب» فهي «أرون» كما في «سفر الخروج ٢٦/ ٣٣، ٣٤ - ٧/٢١»، كما عبرت كلمة آرون عن التابوت الذي يوضع فيه جثة الميت كما في «سفر التكوين ٢٥/٥٠»

וַיִּתְּנוּ אֹתוֹ --- בָּאָרוֹן בְּמִצְרָיִם

= ومات يوسف . . ووضع في التابوت في مصر.

كل ما سبق يعد مبررات لغوية دلالية، ترجح أن كلمة «تابوت» من التراث العام للغات الأعرابية «السامية» جميعاً، واختفاؤها في لغة ما، أو إهمال استعمالها في زمن ما لا يعني عدم وجودها في هذه اللغة أو تلك، ولا يجعلنا نجزم بأن هذه الكلمة أعجمية الأصل، لأن ذلك احتمال ليس له ما يبرره، وما هو بأولى من القول بأن الكلمة عربية الأصل. ولا يثبت عندنا صحة أحد الاحتمالين إلا بمرجح يرجح أحدهما ويقطع بصدقه وظني أنني بما قدمت من المبررات ما يسمح لى بالقول: إن كلمة التابوت من

المشترك في اللغات العربية والعبرية والارامية والحبشية.

وقد أشار أستاذنا الدكتور محمود فهمي حجازي إلى أن صوتي التاء والباء، وهما الأصل والمشترك في اللغة السامية من الأصوات التي لا تخلو فيها أية لغة يقول؛ «اهتمت كتب النحو المقارن في اللغات السامية ـ وكلها كتب أوربية ـ ببيان الخصائص التي تتسم بها اللغات السامية. ومن الطبيعي أن تتناول هذه الدراسات الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. وهناك أصوات لا تكاد تخلو منها أية لغة، مثل الأصوات الشفوية كالباء والميم ، والأصوات الأسنانية كالتاء والدال»[٨٠].

المبحث الرابع : دلالة التابوت :

الدلالة هي المعنى الذي وضع اللفظ من أجله في اللغة، ولذا كان لكل لفظ معنى معجمي يمكن الاستدلال عليه في اللغات السامية من المعاجم المقارنة التي صنفت في الكلمات السامية. ولا قيمة للفظ بدون معناه، فجميع ما تقدم من دراسات لغوية خاصة بجانب الأصوات أو بجانب بنية الكلمة تُعدُّ غير ذات جدوى ما لم ترتبط بإيضاح المعنى الذي وضع اللفظ من أجله[٨١].

وإذا تصفحنا كتب اللغة العربية القديمة والحديثة وجدنا معاني عدة لكلمة التابوت على النحو التالي:

١ ـ التابوت هو الصندوق، سمي به لأنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، أي لأنه من التوب بمعنى الرجوع، وهذا قد صرح به أبو علي الفارسي وابن جني وغيرهما[٨٢] وتبدو لنا صعوبة الربط بين التوبة والصندوق من أجل استقاق الكلمة من «ت و ب» لأن التوبة تعني الرجوع من الذنب، ولا تفيد الرجوع الحسيّ. ويبدو لنا أن هذا التفسير أوحاه مضمون الصندوق الذي وضعت فيه أم موسى وليدها إذا جاز لنا أن نقول: إن موسى عليه السلام احتفظ بالتابوت بعد ذلك. وعرف بنو إسرائيل حكايته، واعتزوا بهذا الصندوق اعتزازاً كبيراً، وصاروا يتبركون به ويرجعون إليه، وهذا غير صحيح لأنه لا يعقل أن الطفل الرضيع يحتفظ بصندوق، ولا يتوقع من آل فرعون أن يحتفظوا بهذا التابوت إلى أن يبلغ موسى عليه السلام أشده فيأخذه ويهاجر

به من مصر. وعند اليهود التابوت: صندوق عال يصلى عنده قائد جماعة المصلين، وهو تابوت عهد الرب[٨٣].

٢ ـ يراد بالتابوت في الآية الكريمة «في سورة البقرة/ ٢٤٨» تابوت الشهادة. وعرفه الزبيدي بقوله: «الصندوق الذي وضع فيه اللوحان اللذان كتب فيهما العشر الآيات التي نسبتها من التوراة نسبة فاتحة الكتاب من القرآن، وهو يسمى «تابوت الشهادة» وكانوا إذا حاربوا حمله جماعة منهم موظفون لحمله، ويتقدمون به أمام الجيش، فيكون ذلك سبب نصرهم ، وكان العمالقة أصحاب جالوت لما ظهروا عليهم أخذوه في جملة ما أخذوا من نفائسهم، ذكره البقاعي في تفسيره[٨٤].

ومن الأقوال الطريفة عن ذلك التابوت ما قاله الألوسي في تفسيره: «المراد به صندوق كان يتبرك به بنو إسرائيل، فذهب منهم، واختلف في تحقيق ذلك فقال أرباب الأخبار: هو صندوق أنزله الله تعالى على آدم عليه السلام فيه تماثيل الأنبياء جميعهم، وكان من عود الشمشاز[٨٥] نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين ولم يزل يتنقل من كريم إلى كريم، حتى وصل إلى يعقوب «عليه السلام» ثم إلى بنيه ـ ثم وثم ـ إلى أن فسد بنو إسرائيل، وعصوا بعد موسى عليه السلام، فسلط الله تعالى عليهم العمالقة فأخذوه منهم. . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه صندوق التوراة، وكان قد رفعه الله تعالى إلى السماء سخطاً على بني إسرائيل لما عصوا بعد وفاة موسى عليه السلام. فلما طلبت الآية أتى من السماء والملائكة يحفظونه، وبنو إسرائيل يشاهدون ذلك حتى أنزلوه في بيت طالوت. وعن أبي جعفر رضي الله تعالى عنه أنه التابوت الذي أنزله الله على أم موسى فوضعته فيه، وألقته في البحر. وكان عند بني إسرائيل يتبركون به إلى أن فسدوا فجعلوا يستخفون به، فرفعه الله تعالى إلى أن كان ما كان ، وروى غير ذلك مما يطول[٨٦].

ويبدو لنا من كلام الشيخ المفسر أن التابوت الذي أسماه بنو إسرائيل «تابوت الشهادة» فيه ثلاثة أقوال:

(أ) هو صندوق أنزله الله تعالى على آدم عليه السلام. . . إلخ. ومثل هذا القول لانؤيده إذ لا يعقل أن يبقى هذا الصندوق سليماً على مر السنين الطويلة حتى يصل

إلى يد العمالقة بعد وفاة موسى عليه السلام، وما موقف آدم «عليه السلام» من التابوت عندما أخرجه الله سبحانه وتعالى من الجنة؟ تبدو أسئلة كثيرة محيرة لا نجد إجابة عنها.

(ب) ما رواه أبو جعفر رضي الله عنه أنه التابوت الذي أنزله الله على أم موسى فوضعته فيه ولا نراه القول الصحيح، لما أبديناه من ملحوظات سابقة، ومن ناحية أخرى لا يصلح تابوت الطفل، وهو صغير الحجم، لأن توضع فيه بعض الألواح التي كتب فيها العشر الآيات من التوراة، كما توضع فيه الأشياء الأخرى التي قيل إنها كانت في تابوت الشهادة كعصا موسى وعمامته.

(جـ) ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أنه صندوق التوراة... إلخ. وهذا القول مقبول عندنا، وتؤيده الآية الكريمة، والمعنى: شيوخ بني إسرائيل اتهموا نبيهم بأنه هو الذي اختار طالوت ملكاً عليهم، وأنكروا أن يكون الله تعالى هو الذي اختاره لهم فأوحى الله إلى نبيه بأنه سيؤيد طالوت بمعجزة تقنع شيوخ بني إسرائيل بأن الله هو الذي اختاره، وكانت هذه المعجزة أن يعود إلى بني إسرائيل (تابوت التوراة) بأن تحمله الملائكة إليهم بأمر من الله عز وجل. وقد تجلى قبولي هذا الرأي بعد تأملي لكلام الألوسي: «وأقرب الأقوال التي رأيتها أنه صندوق التوراة، تغلبت عليه العمالقة حتى رده الله تعالى، وأبعدها أنه صندوق نزل من السماء على آدم عليه السلام... ولم أر حديثاً صحيحاً مرفوعاً يعول عليه يفتح قفل هذا الصندوق ولا فكرا كذلك[٨٧].

٣ ـ أطلق بنو إسرائيل كلمة «التابوت» على سفينة نوح «عليه السلام»، فقد جاء في (سفر التكوين ٦/١٤): فقال الله لنوح: اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر، تجعل الفلك مساكن (תַּעֲשֶׂה אֶת־הַתֵּבָה) ومثله في السفر ذاته «تك ٦/١٥، ١٩/٦، ٧/١٥» إلى أن خاطب الله نوحاً: اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك «سفر التكوين ٨/١٦». ويبدو أن ذكر التابوت ودلالته على سفينة نوح تنفرد به العبرية، تقول المعاجم العبرية: «التابوت: بناء كبير في شكل صندوق من طوابق ثلاثة بناه نوح للنجاه من مياه الطوفان[٨٨]. وقد ورد ذكر معنى التابوت: الفلك والسفط وآلة للسفن في محيط المحيط لبطرس البستاني، ويبدو لي أنه من تأثير العبرية عليه كما يتضح ذلك كثيراً في معجمه للقارىء المدقق.

٤ ـ التابوت : الأضلاع، وما تحويه كالقلب والكبد، وغيرهما، تشبيهاً بالصندوق الذي يحرز فيه المتاع. ورد ذلك المعنى في حديث دعاء قيام الليل: [اللهم اجعل في قلبي نوراً وذكر سبعا في التابوت[٨٩]]. قال كريب «مولى ابن عباس»: وسبع في التابوت قال: فلقيت بعض ولد العباس، فحدثني بهن فذكر «عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري» قال: وذكر خصلتين «يعني السادسة والسابعة» ولم يصرح بهما الراوي فيحتمل أنه نسيهما[٩٠]. وورد في أساس البلاغة للزمخشري: التابوت الصدر، يقال: ما أودعت تابوتي شيئا ففقدته: أي ما أودعت صدري علماً فعدمته[٩١].

والحق أن هذا المعنى الرابع تنفرد به لغتنا العربية التي أعطت كلمة التابوت استخداماً اقتضاه مجيء الإسلام، والفتوحات الإسلامية، فالمتفق عليه أن معاني الكلمات تخضع لسنة التطور، وتتأثر بتيارات الحضارة. والأحداث الضخمة التي تحدث تغييرات جوهرية في حياة الناطقين باللغة العربية، وأقواها مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم باللغة العربية الفصحى.

٥ ـ التابوت «عند قدماء المصريين»: صندوق من حجر أو خشب توضع فيه الجثة، عليه من الصور والرسوم ما يصور آلام المصريين وعقائدهم في العالم الآخر[٩٢].

وهذا المعنى أشار إليه الزبيدي في مخطوطته إذ قال: «تسمى الجنازة، وكذا بعض السواني تابوتا، لكون كل واحد منهما على هيئة الصندوق، وكل منهما مجاز في المرتبة الثانية كما لا يخفى، ويقال لصانعه التابوتي، وبه عرف أشعث بن سوار أحد المحدثين[٩٣]. والجنازة بالكسر الميت، وبالفتح السرير أو النعش وعن ثعلب عكس هذا[٩٤]. وفي قصة للكاتب «محمد كامل حسن المحامي» عنوانها «التابوت الطائر» قال: تطلق لفظة التابوت على النعش الذي يوضع فيه الميت لنقل جثمانه إلى مقره الأخير كتب عدد من الكتاب الغربيين عن التابوت المذكور في الآية القرآنية (سورة البقرة آية ٢٤٨) فأطلق عليه الكتاب الفرنسيون لفظة Cercueil ، وأطلق عليه الكتاب الانجليز Coffin ، وكل لفظة من اللفظتين تعني التابوت، أي النعش الذي يوضع فيه جثمان الميت لينقل إلى المقبرة، أو لكي يدفن التابوت، وبداخله جثمان الميت كما يفعل بعض الغربيين، وكما كان يفعل قدماء المصريين ، إن تابوت بني إسرائيل لم

يكن مخصصا لنقل أي ميت، ولم يصنع أساساً لهذا الغرض، بل لأسباب أخرى، لذلك فإن إطلاق اللفظتين الفرنسية والانجليزية (السابقتين) على ذلك التابوت هو ترجمة خاطئة لمدلوله[٩٥].

بل إن ما يدل على نعش الميت في العبرية كلمة أخرى هي كما في العهد القديم: וְהַמֶּלֶךְ דָּוִד הֹלֵךְ אַחֲרֵי הַמִּטָּה: وكان داود الملك يمشي وراء النعش[٩٦]. واستعملت العربية كلمة الإران للدلالة على سرير الميت أو تابوته، وكما قال صاحب التاج: وكانوا يحملون فيه موتاهم[٩٧].

٦ ـ التابوت «من الناعورة: علبة من خشب أو حديد تغرف الماء من البئر[٩٨]. والناعورة تعني «الدولاب، ودلو يستقى بها»[٩٩].

نخلص مما عرضنا إلى أن دلالة «التابوت» الأساسية هي الصندوق كبيراً كان أو صغيراً، ثم اكتسبت الكلمة معاني جديدة مع تطور الزمن، هي كلها مرتبطة بالمعنى الأساس، وعلماءنا القدامى لم يجدوا صعوبة في تحديد معاني الكلمة، فقد ذكر أكثرهم أن «التابوت معروف وهو الصندوق»[١٠٠].

كما وجدنا إيضاحاً لبقية المعاني المجازية لدى الألوسي[١٠١] في تفسيره والزبيدي في مخطوطته[١٠٢].

وبعد . . فأرجو أن أكون ببحثي هذا قد قمت ببعض الواجب نحو لغتنا العربية، لغة القرآن الكريم.

والله ولي التوفيق . .

الهـــوامش

(١) الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار مادة توب ص ٩٢ .
(٢) القول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت للمرتضى الزبيدي ص ٢ .
(٣) الكشاف للزمخشري ١/٢٩٣ .
(٤) تاج العروس ١/١٦١ .
(٥) المرجع السابق والصفحة .
(٦) روح المعانى في تفسير القرآن العظيم لمحمود الألوسي ١/١٦٩ .
(٧) القاموس المحيط مادة «تاب» ط /٤١ .
(٨) تاج العروس مادة تبت ١/٥٣٢ .
(٩) هامش (ديوان الأدب للفارابي) تحقيق ٦/ أحمد مختار عمر ١/٣٧٠ .
(١٠) المحكم لابن سيدة ج ٤/٢٠١ .
(١١) المحتسب لابن جني ١/١٢٩ .
(١٢) تاج العروس مادة تبه ٩/٣٨١ .
(١٣) القول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت ص ٢ .
(١٤) نفسه ص ٤ .
(١٥) البحر المحيط ٢/٢٦١ .
(١٦) الاختلاف بين القراءات لأحمد البيلى ص ١٠ .
(١٧) الكشاف ١/٣٨٠ .
(١٨) روح المعاني ١/١٦٩ .
(١٩) هذا الحديث ورد في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن من فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩/٢٠ .
(٢٠) كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الدائي ص ٥ .
(٢١) روح المعاني ١/١٦٩، المزهر ٢/٧٣، التاج ١/١٦١، القول المثبوت ص ٤ .
(٢٢) التاج ١/١٦١، القول المثبوت ص ٤ .
(٢٣) الاختلاف بين القراءات لأحمد البيلي ص ١٠ .
(٢٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم د/ محمد أبو شهبة ص ٣٣٥ .
(٢٥) دلالة الألفاظ د/ أنيس ص ١٩٠ .

(٢٦) دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية ص ٢٤ .

(٢٧) محيط المحيط مادة ت أ ب .

(٢٨) اللسان، القاموس، التاج: مادة توب .

(٢٩) النهاية في غريب الحديث والأثر ص ١٧٨ .

(٣٠) اللسان مادة تبت، التاج مادة تبت ١/٥٣٢ .

(٣١) نقلا من اللسان مادة تبه .

(٣٢) القول المثبوت ص ٥ .

(٣٣) المرجع السابق والصفحة .

(٣٤) هامش ١/٣٧٠ من ديوان الأدب للفارابي، تحقيق د/ أحمد مختار عمر .

(٣٥) التطور النحوى ص ٥١ .

(٣٦) انظر في ذلك الكتاب لسيبويه ٢/٣١٣ .

(٣٧) المدخل إلى علم الأصوات د/ صلاح الصالح ص ١٠٧ .

(٣٨) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: مادة «تلم» .

(٣٩) القول المثبوت ص ٥ .

(٤٠) تفسير التحرير والتنوير جـ٢ / ٤٩٣ .

(٤١) نفسه ٢/٤٨٩ .

(٤٢) لنا بحث مستقل سوف يأخذ طريقه إلى النور، يتناول الفكر اليهودى حول لغتنا العربية عنوانه: «تاريخ اللغة العربية بين الأصالة والتغريب» .

(٤٣) التطور النحوى ص ٣٢٦ .

(٤٤) نفسه ص ٢١١ .

(٤٥) نفسه ص ٢١٢ .

(٤٦) د/ حسين الهمداني: كتاب الزينة للرازي هامش ١/١٤٦ .

(٤٧) بين الحبشة والعرب ص ١٠١ .

(٤٨) نفسه ص ١٠١ .

(٤٩) نفسه ص ١٨ .

(٥٠) المرجع السابق ص ٩٣ .

(٥١) المرجع السابق ص ٩٨ .

(٥٢) ملون عفرى: يهودا جور ص ١٠٧٧ .

(٥٣) هلموت هحاداش: إفراهام إفن شوشان ص ٧٤٨ .

(٥٤) الصاحبي لابن فارس ص ٦٧ ، ٦٨، المزهر للسيوطي ١/٦٦ .

(٥٥) الاقتراح للسيوطي /٢٧ .

(٥٦) المزهر ١/٢٦٦ .

(٥٧) انظر الاقتراح للسيوطي ٢٧ .

(٥٨) المعرب من الكلام الأعجمي . المقدمة ص ١٣ .

(٥٩) الصاحبي لابن فارس ص ٥٩ .

(٦٠) الصاحبي لابن فارس ص ٦٧ .

(٦١) كلام العرب من قضايا اللغة العربية ص ٥٧ .

(٦٢) المرجع السابق ص ٥٨ .

(٦٣) Hebrew and English Lexicon by Gesenius P497.

(٦٤) فقة اللغة المقارن ص ١٧٦ .

(٦٥) بين العربية ولهجاتها والعبرية ص ٢ .

(٦٦) التطور النحوى لبرجشتر اسر ص ٩٥، وانظر أيضا مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن لموسكاتى ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٦٧) اللغتان العبرية والآرامية ينطقان الصوت الانفجاري «ب» احتكاكيا «ف» عند وقوعه بعد مد، كما أن العبرية لديها صيغة أخرى هي «تيفوت» .

(٦٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/٢٤٨ .

(٦٩) تاج العروس مادة تبت ١/٥٣٢ .

(٧٠) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ص ١٠٦ .

(٧١) التاج مادة ثبت ١/٥٣٢ .

(٧٢) التطور النحوى ص ٥١ .

(٧٣) الكشاف ١/٢٩٣ .

(٧٤) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن لموسكاتى ص ١٤٢ .

(٧٥) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ل مارا اغناطيوس افرام الأول / مجلة مجمع دمشق مجلد ٢٣/ جـ٢ / ١٦١ .

(٧٦) أثر الدخيل في العربية الفصحى ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٧٧) النهاية لابن الأثير ص ١٧٨ .

(٧٨) تاج العروس مادة زبق، ولم يذكر القائل، وما عثرت عليه .

(٧٩) أساس البلاغة للزمخشرى، ص ٥٩ .
(٨٠) علم اللغة العربية ص ١٤١ .
(٨١) دراسات في علم اللغة المقارن ص ١٨٠ .
(٨٢) التاج ٥٣٢/١ ، القول المثبوت ص ٣ .
(٨٣) انظر: معجم إفن شوشان، معجم يهودا جور، قاموس قوجمان، مادة .
(٨٤) القول المثبوت ص ٥ .
(٨٥) يبدو أن المقصود به «خشب السنط» كما جاء في سفر الخروج «٢٥/١٠» = ويصنعون تابوتا من خشب السنط. .
(٨٦) روح المعانى للألولسي ١٦٩/١ .
(٨٧) روح المعانى ١٦٩/١ .
(٨٨) المعاجم العبرية: معجم أفن شوشان، معجم يهودا جور، قاموس قوجمان، مادة .
(٨٩) النهاية لابن الأثير ص ١٧٨، تاج العروس ٥٣٢/١ .
(٩٠) انظر في ذلك. الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٥٢/٤ .
(٩١) أساس البلاغة، ص ٥٩، القول المثبوت للزبيدى ص ٤ .
(٩٢) المعجم الوسيط مادة تبت ٨١/١ ط ثانية .
(٩٣) القول المثبوت ص ٥ .
(٩٤) المرجع السابق والصفحة، محيط المحيط مادة جنز .
(٩٥) التابوت الطائر ل محمد كامل حسين المحامى ص ١٣ .
(٩٦) سفر صموئيل الثاني ٣١/٣ .
(٩٧) التاج: مادة أرن، وكذلك القاموس المحيط .
(٩٨) المعجم الوسيط مادة تبت ٨١/١ .
(٩٩) محيط المحيط مادة: «نعر» ص ٩٠٢ .
(١٠٠) الألوسي في تفسيره ١٦٩/١ .
(١٠١) نفســه .
(١٠٢) القول المثبوت ص ٥٠٤ .

أهم المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

١ ـ العهد القديم .

٢ ـ أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ، د/ مسعود بوبو، دمشق ١٩٨٢م .

٣ ـ الاختلاف بين القراءات، أحمد البيلي، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٤ ـ أساس البلاغة للزمخشرى، بيروت ١٩٦٥م .

٥ ـ الاقتراح، جلال الدين السيوطي ، مطبعة دار المعارف النظامية ، حيدر آباد الهند ط أولى .

٦ ـ الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، للبطريك مارا اغناطيوس افرام الأول، مجلة المجمع العربي بدمشق، مجلد ٢٣ ، جزء ثان، سنة ١٩٤٨م .

٧ ـ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، بيروت، دار الفكر ١٩٨٣م ط ثانية .

٨ ـ بين الحبشة والعرب، د/ عبد المجيد عابدين، مصر، دار الفكر العربي، بدون تاريخ .

٩ ـ بين العربية ولهجاتها والعبرية، د/محمد بحر عبد الحميد، القاهرة ١٩٧٧م .

١٠ ـ التابوت الطائر، محمد كامل حسن المحامي، بيروت، المكتب العالمي للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

١١ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدى، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة ١٣٠٦هـ .

١٢ ـ التطور النحوى لبرجشتراسر، علق عليه د/ رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٨٢م .

١٣ ـ تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر .

١٤ ـ تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي .
١٥ ـ دراسات في عالم اللغة المقارن، د/ محمد عبد الصمد زعيمة، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٨١م .
١٦ ـ دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية، د/ أحمد حسين شرف الدين، الرياض ١٤٠٤هـ ط أولى .
١٧ ـ دلالة الألفاظ، د/ابراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩١م .
١٨ ـ ديوان الأدب للفارابي، تحقيق د/ أحمد مختار عمر، القاهرة ١٩٧٤م.
١٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، محمود الألوسي، بيروت، دار الفكر ١٩٨٧م .
٢٠ ـ الزينة في الكلمات الإسلامية لأبي حاتم الرازي، تحقيق حسين الهمداني، القاهرة، ١٩٥٧م .
٢١ ـ شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، علق عليه يوسف بديوي، دمشق، دار ابن كثير ١٤١١هـ .
٢٢ ـ الصاحبي لأبن فارس، تحقيق د/عمر فاروق الطباع، بيروت، مكتبة العارف ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .
٢٣ ـ الصحاح للجوهرى: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م .
٢٤ ـ علم اللغة العربية، د/ محمود فهمي حجازي، الكويت، وكالة المطبوعات ١٩٧٣م.
٢٥ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبن حجر العسقلاني حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت .
٢٦ ـ الفتح الرباني، ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع شرح بلوغ الأماني، ترتيب وتأليف أحمد عبد الرحمن البنا، القاهرة، دار الشهاب .
٢٧ ـ فقه اللغة العربية المقارن، د/ إبراهيم السامرائي، بيروت ١٩٦٨م .
٢٨ ـ القاموس المحيط، للفيروز أبادي، القاهرة ١٩١٣م .
٢٩ ـ القول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت ل محمد مرتضى الزبيدي، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٤ لغة تيمور .
٣٠ ـ الكشاف للزمخشري، دار الفكر، بيروت .

٣١ ـ كلام العرب من قضايا اللغة العربية، د/ حسن ظاظا، دمشق، دار القلم، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .
٣٢ ـ لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، القاهرة، بولاق ١٣٠٠هـ ـ ١٣٠٧هـ .
٣٣ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وزملائه، القاهرة ١٣٨٦هـ .
٣٤ ـ المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده الأندلسي، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، القاهرة، ط أولى .
٣٥ ـ محيط المحيط، المعلم بطرس البستانى، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م .
٣٦ ـ المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، د/ صلاح صالح حسنين، القاهرة ١٩٨١م.
٣٧ ـ مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، سباتينوموسكاتى، ترجمة المخزومي والمطلبي، بيروت، عالم الكتب ١٤١٤هـ .
٣٨ ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم، د/ محمد أبو شهبة، الرياض ١٤٠٧هـ ط ثالثة .
٣٩ ـ المدينة في العصر الجاهلى، د/ محمد العيد الخطراوى، دمشق، مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م .
٤٠ ـ المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى وزملاؤه، القاهرة دار التراث، ط ثالثة .
٤١ ـ معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٦٩م، ط ثانية .
٤٢ ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطابع دار المعارف بمصر ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، ط ثانية .
٤٣ ـ المعرب (من الكلام الأعجمي، على حروف المعجم) للجواليقى، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٣٦١هـ .
٤٤ ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط لأبي عمرو الدانى استانبول ١٩٣٢م.
٤٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، القاهرة ١٩٦٣م.

ثانياً : المراجع العبريـة :

١ ـ إفراهام افن شوشان : هملون هعفري هحاداش، هوتسا أت قريت سيفر ، بروشليم ١٩٧٧م .

٢ ـ قوجمان : قاموس عبري عربي، بيروت ، دار الجبل ١٩٧٠م .

٣ ـ يهودا جور : هملون هعفري تل أبيب .

Willam, Gesenius

- Hebrew and English Lexicon of the old Testament as rtunslated by Edward Robinson Oxford 1959.